الباب الأول
البناء والمعالم

الفصل الأول: المعالم ومراحل البناء

معنى كلمة الكعبة :-

الكعبة هى بيت الله الحرام ، ولقد اتفق اللغويون على أن الكعبة سميت بذلك لكونها مربعه ، جاء فى المصباح المنير[1] سميت الكَعبَةُ بذلك لنتونها وقيل لتربيعها وارتفاعها ، والكَعَبةُ أيضا الغرفة والمِكعَبُ ، وجاء فى معجم البلدان [2] باب الكاف والعين الكعبات جمع كعبة ، وهو البيت المربع وقيل المرتفع ،وجاء فى التعاريف الكعبة كل بيت على هيئة التربيع .

جاء فى المعجم الكبير:- الكعب في كلام العرب مأخوذ من العلو منه سميت الكعبة وكعبت المرأة إذا فلك ثديها ،كعب الفتاة أنبوبها، وأنبوب ما بين كل عقدتين كعب ،وقد يستعمل في الشرف والمجد تشبيها ، ومنه الحديث [والله لا يزال كعبك عاليا] ويقال البيت العتيق، وإنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء ، وقال آخرون : سمي بذلك لقدمه .

1- جزء2 - ص 535 2- جزء 4 - ص 463

وقالوا فى سبب تسميته بالعتيق كما يقال : السيف العتيق لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ،ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق فبناه إبراهيم وإسماعيل قال أبو جعفر : غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة فقد قال عبدالله بن الزبير :- قال رسول الله (ص) إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليها أحد قط .[1]

كما يقال بيت الله الحرام ، أو المسجد الحرام ، أو البيت الحرام وذلك لأن هناك أمور تحل فى غير موضعه لا تحل فيه كالقتال مثلاً لقوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)وأمور أخر ليس هنا موضعها.

أطوال ومساحة الكعبة المشرفة

*طولها من جهة بابها او الناحية الامامية (الشرقية) 12,84 مترا

*طولها من ناحية ظهرها (الغربية) 12,11 مترا

*طولها من جهة حجر اسماعيل (الشمالية) 11,28 مترا

*طولها من جهة الحجر الاسود واليماني (الجنوبيه) 12,11 مترا

* ارتفاع الكعبة 14 مترا

الشاذروان بنى عبد الله بن الزبير في خلافته للحجاز مسطبه خارج

1- المعجم الكبير جزء 12 - ص 1050

الكعبة حول اضلاعها الاربعة وتعرف بالشاذروان .

الملتزم:

قال ابن عباس ومجاهد ان الملتزم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وطوله حوالي مترين ، وهو مكان لاستجابة الدعاء ومن السنة فيه إلصاق الخدين والصدر والذراعين والكفين مع الدعاء وقال بن عباس ان بين الحجر والباب مكان لا يقوم فيه انسان فيدعو الله تعالى بشئ إلا رأى في حاجته بعض الذي يحب وما يقابله من ظهر الكعبة (الناحية الأخرى) يسمى ملتزم العجزة.

باب الكعبة:

كان مصنوعا من الفضة وذلك يعود إلى الفترة العثمانية، ثم تم استبداله بعد عمليات الترميم ويرتفع عن أرض المطاف بحوالي 2.5 وارتفاع الباب 3.06 متر وعرضه 1.68 متر، الباب الموجود اليوم هدية الملك خالد بن عبد العزيز وقد تم صنعه من الذهب حيث بلغ مقدار الذهب المستخدم فيه للبابين حوالي 280 كيلو جرام بتكلفة إجمالية بلغت 13مليونا و420 ألف ريال عدا كمية الذهب.

أما مفتاح الكعبة

فيودع عند بني شيبة الذين لهم سدانة الكعبة كما هي وصية النبي (ص) وقفل الباب تمت صناعتة حين أُريد تغيير القفل القديم ، والذي يعود تاريخه إلى عهد السلطان عبد الحميد سنة 1309 هـ، وبنفس مواصفات القفل القديم بما يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد، مع زيادة ضمان الإغلاق دون الحاجة إلى

obeikandl.com

صيانة.

مقام إبراهيم :

وهو الحجر الذي قام عليه النبي إبراهيم عند بناء الكعبة وكان ابنه إسماعيل يناولهالحجارة وكل ما كملت جهة أنتقل إلى الجهة الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى انتهى إلى وجه البيت ولقد كانت هذه من معجزات الله لإبراهيم أن صار الحجر تحت قدميهِ رطباً فغاصت فيه قدماه وقد بقي أثر قدميهِ ظاهراً فيه.

فضائل وشرف الكعبة المشرفة :

وتفضل الكعبة على ما عداها من البيوت :

لأنها أول بيت لله ولأنها بنتها الملائكة والأنبياء ولأن النبي ρ شارك في بنائها عام 5قبل البعثة المشرفة ولكونها توازي البيت المعمور أو كعبة الملائكة في السماء ولا تستقبل القبلة عند قضاء الحاجة والملائكة تطوف بها ولكونها محروسة من الله تعالى ولا يمتلكها الملوك.

استجابة الدعاء في الكعبة :

أخرج الأزرقي عن الحسن البصري قال: ما أعلم بلدا يصلى فيه حيث أمر الله عز وجل نبيه (ص) إلا بمكة قال الله {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} قال: ويقال: يستجاب الدعاء بمكة في خمسة عشر عند الملتزم، وتحت الميزاب،

obeikandl.com

وعند الركن اليماني، وعلى الصفا، وعلى المروة، وبين الصفا والمروة، وبين الركن والمقام، وفي جوف الكعبة، وبمنى، وبجمع، وبعرفات، وعند الجمرات الثلاث. (خمسة من هذه الأماكن من الكعبة).

تعظيم القسم برب الكعبة:

تعظيما للبيت فقد أضيفت في القسم فقد كان النبي (ص) يقسم برب الكعبة وأقسم برب الكعبة ميكائيل والملائكة وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وكعب الاحبار والحسن البصري وأبوملحان الأنصاري عندما طعن بالرمح واستشهد قال فزت ورب الكعبة .

وفي حديث صحيح الاسناد عن قتيلة بنت صيفي امرأة من جهينة قالت: إن حبرا جاء إلي النبي (ص) فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله، وشئت، وتقولون: والكعبة فقال رسول الله (ص) -: (قولوا: ما شاء الله، ثم شئت، وقولوا: ورب الكعبة.

تعظيم الجاهلية للكعبة :

ومن تعظيم العرب للكعبة أنهم كانوا يخالفونها في البنيان ولا يستطيلون عليها ، وكانوا يعقدون فيها الاتفاقيات ويتحالفون فيها ، وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش، فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيماً لشأنها، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع، فالأولى لامرئ القيس بن حجر الكندي ومن تبعه من الشعراء وعندما انتشر امر الاسلام والنبوة قاطعت قريش بني هاشم

وحاصرتهم في الشعب وضيقت عليهم كتبوا بذلك صحيفة ألا يبيعوا ولا يشتروا ولا يتزوجوا ولا يزوجوا لبني هاشم ، ما لم يترك النبي (ص) دعوته أو تسلمه بني هاشم لقريش لتقتله ، ووضعوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله (ص) فأصابه شلل في أصابعه وقد أكلت الأرضة هذه الصحيفة الظالمة .

عبادات لا تصح إلا باستقبال الكعبة المشرفة

*الصلوات * دفن الميت * ذبح الأنعام * إستقبال القبلة عند بداية السعي على جبل الصفا

قالوا عن الكعبة المشرفة يكفي الكعبة شرفا أن النبي (ص) قد قال : إن النظر إلى الكعبة عبادة وعندما فتح مكة ودخلها قال (ص) : هذا يوم تعظم فيه الكعبة وقال ابن عباس : النظر إلى الكعبة محض الإيمان وقال الإمام الشافعي أربعة تجلو البصر الجلوس تجاه الكعبة والكحل عند النَّوم والنَّظر إلى الخضرة وتنظيف المنتدى.

الأسماء والأركان والسدنة

أسماء الكعبة المشرفة في القرآن الكريم

- *الكعبة قال تعالى (هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ).
- *البيت المبارك قال تعالى(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا).

obeikandl.com

- *بيت الله قال تعالى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين) .
- *البيت الحرام قال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) .
- *البيت العتيق : قال تعالى (وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .
- *القبلة المرضية : قال تعالى (فلنولينك قبلة ترضاها).
- *البيت المحرم (انى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ).
- * بكة : قال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة).

وللكعبة المشرفة أسماء كثيرة غير الأسماء المعروفة التى وردت في القرآن الكريم مثل قادس وناذر والقرية القديمة .

أركان الكعبة :

جاءت تسمية الأركان باعتبار اتجاهاتها الأربع تارةً، وجاءت باعتبار خصوصية أخرى فيها تارة أخرى.

الرُكن الشرقي : وهو الركن وهو الذي يكون بجوار باب الكعبة ويُقابلُ بئر زمزم تقريباً، يُسمى بالركن الشرقي لكونه باتجاه المشرق تقريباً، ويُسمَّى

أيضاً بالركن الأسود لأن الحجر الأسود مُثَبَّتٌ فيه ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة.

الرُكن العراقي : وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الشمالي لمواجهته للشمال تقريباً، وهو الركن الذي على الجانب الشرقي من حِجْرِ إسماعيل، ويُسمَّى أيضا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق.

الرُكن الغربي : وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الغربي لمواجهته للمغرب تقريباً، ويُسمَّى أيضاً بالركن الشامي لكونه باتجاه الشام، وهو الرُكن الذي يكون على الجانب الغربي من حِجْرِ إسماعيل.

الرُكن اليماني : وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الجنوبي لمواجهته للجنوب تقريباً، ويُسمَّى أيضا الركن اليماني لكونه باتجاه اليمن.

<u>وصف الكعبة من الداخل :</u>

قليلون أولئك الذين دخلوا جوف الكعبة منذ البعثة وحتى الآن فهل تعلم ماذا يوجد داخل الكعبة ؟

obeikandl.com

أولا:

يوجد بداخل الكعبة المشرفة ريح طيب من خليط المسك والعود والعنبرالذي يستخدم بكميات كبيرة لتنظيفها ويستمر مفعوله طوال العام.

ثانيا:

تغطى أرضية الكعبة برخام من اللون الأبيض في الوسط، أما الأطراف التي يحددها شريط من الرخام الأسود فهي من رخام الروزا (الوردي) الذي يرتفع على جدران الكعبة مسافة 4 أمتار دون أن يلاصق جدارها الأصلي أما المسافة المتبقية - من الجدار الرخامي حتى السقف (5 أمتار) - فيغطيها قماش الكعبة الأخضر (أو ستائر من اللون الوردي) المكتوب عليه بالفضة آيات قرآنية كريمة وتمتد حتى تغطي سقف الكعبة كما توجد بلاطة رخامية واحدة فقط بلون غامق تحدد موضع سجود الرسول (ص) بينما توجد علامة أخرى من نفس الرخام في موضع الملتزم حيث ألصق الرسول (ص) بطنه الشريف وخده الأيمن على الجدار رافعا يده وبكى (ولذا سمي بالملتزم).

ثالثا:

ثلاثة أعمدة في الوسط من الخشب المنقوش بمهارة لدعم السقف بإرتفاع حوالي 9 أمتار محلاة بزخارف ذهبية.

رابعا:

عدد من القناديل المعلقة المصنوعة من النحاس والفضة والزجاج المنقوش

بآيات قرآنية تعود للعهد العثماني.

خامسا:

درج (سلم) يصل حتى سقف الكعبة مصنوع من الألومنيوم والكريستال.

سادسا:

مجموعة من بلاطات الرخام التي تم تجميعها من كل عهد من عهود من قاموا بتوسعة الحرم المكي الشريف.

يوضع من وقت لآخر جهاز رافع آلي (مان- ليفت) لعمال التنظيف داخل الكعبة مع مضخة ضغط عالي تعبأ بالماء ومواد التنظيف.

تغسل الكعبة المشرفة من الداخل مرة واحدة في كل عام بالماء والصابون أولا ثم يلي ذلك مسح جدرانها الداخلية وأرضيتها بالطيب بكل أنواعه وتبخر بأجمل البخور

مجسم الكعبة من الداخل:

أولا: يوجد بداخل الكعبة ريح طيب من خليط المسك والعود والعنبر الذي يستخدم بكميات كبيرة لتنظيفها ويستمر مفعوله طوال العام.

ثانيا: تغطى أرضية الكعبة برخام من اللون الأبيض في الوسط، أما الأطراف التي يحددها شريط من الرخام الأسود فهي من الرخام الذي يرتفع إلى جدران الكعبة مسافة 4 أمتار دون أن يلاصق جدارها الأصلي. أما المسافة المتبقية - من الجدار الرخامي حتى السقف 5 أمتار - فيغطيها قماش الكعبة الأخضر (أو

obeikandl.com

ستائر من اللون الوردي) المكتوب عليه بالفضة آيات قرآنية وتمتد حتى تغطي سقف الكعبة كما توجد بلاطة رخام واحدة فقط بلون غامق تحدد موضع سجود الرسول ؛ بينما توجد علامة أخرى من نفس الرخام في موضع الملتزم حيث ألصق الرسول (ص)، بطنه الشريف وخده الأيمن على الجدار رافعا يده وبكى ولذا سمي بالملتزم

ثالثا: ثلاثة أعمدة في الوسط من الخشب المنقوش بمهارة لدعم السقف بارتفاع حوالي 9 أمتار محلاة بزخارف ذهبية.

رابعا: عدد من القناديل المعلقة المصنوعة من النحاس والفضة والزجاج المنقوش بآيات قرآنية تعود للعهد العثماني.

خامسا: درج (سلم) يصل حتى سقف الكعبة مصنوع من الألومنيوم والكريستال.

سادسا: مجموعة من بلاطات الرخام التي تم تجميعها من كل عهد من عهود من قاموا بتوسعة الحرم المكي الشريف ويوضع من وقت لآخر جهاز رافع آلي (مان-ليفت) لعمال التنظيف داخل الكعبة مع مضخة ضغط عالي تعبأ بالماء ومواد التنظيف تغسل الكعبة من الداخل مرة واحدة في كل عام بالماء والصابون أولا ثم يلي ذلك مسح جدرانها الداخلية وأرضيتها بالطيب بكل أنواعه وتبخر بأجمل البخور.

الحجر الأسود :

هو حجر مثبت في الركن الجنوبي للكعبة على ارتفاع 110سم من أرض المطاف وعرضه 17 سم ومن فضائله أنه ياقوت من يواقيت الجنة* حمله النبي (ص) بيده ووضعه في مكانه عند بناء قريش للكعبة* تقبيل النبي (ص) له * تقبيل الأنبياء السابقين له*هو بداية الطواف ونهايته *يستجاب عنده الدعاء* يشهد يوم القيامة لمن استلمه.

الحطيم :

ويسمى حجر إسماعيل وهو البناء المكشوف على شكل نصف دائرة من الناحية الشمالية للكعبة ويسمى بالحطيم لأنه جزء حطمته قريش من الكعبة وأخرجته منها لما عجزت عن توفير المال الحلال اللازم لبناء الكعبة كما أخبر بذلك النبي (ص) السيدة عائشة رضي الله عنها ويسمى حجر إسماعيل لأن إبراهيم بنى لاسماعيل وأمه السيده هاجر عريشاً من أراك ليسكنا فيه والجزء الذي خرج من الكعبة ودخل في حجر إسماعيل حوالي ثلاثة أمتار ، ويبلغ الطول الكلي للحجر 546 سم منها ثلاثة من أصل الكعبة، وقال النبي (ص) لعائشة لولا أن قومك حديثي عهد بالإسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم وفي خلافة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على قواعد إبراهيم وأدخل الجزء الخارج منها من الحجر،ولكن عندما حاصر الأمويون بن الزبير وقتلوه هدموا الكعبة وأعادوا بناءها على الصفة القديمة وعندما جاء العباسيون إلى الخلافة أراد الخليفة المهدي أن يرد بناء البيت على قواعد

إبراهيم إلا أن الامام مالك بن أنس عليه السلام منعه من ذلك وقال لهم أتركوا ذلك حتى لا يصبح بيت الله عز وجل لعبة بيد الملوك والخلفاء يبني هذا ويهدم هذا فتذهب هيبته من صدور الناس .

وفضل هذا الحطيم أن من صلى فيه فكأنما صلى داخل الكعبة لأنه جزء منها ، وعندما طلبت السيده عائشة من النبي (ص) أن تصلي داخل الكعبة أخذ بيدها وقال لها صلي في هذا الحطيم فهو قطعة من البيت.

وقالوا أن الدعاء مستجاب في الحطيم وتحت الميزاب، وقال الشيباني رأيت سعيد بن جبير في حجر إسماعيل معتنقاً البيت والميزاب قطعة معدنيه مكسية بالذهب وضعت أعلى البيت لتصريف مياه الأمطار ، وقريش أول من صنع ميزاباً للكعبة ، وطول الميزاب الحالي 253 سم وكان عبد المطلب سيد قريش يوضع له فراش في الحجر ولا يجلس معه غيره من أشراف قريش ، ماعدا النبي (ص) وكان عمره وقتها ثمانية أعوام وعند بناء عبد الله بن الزبير للكعبة المشرفة ، وحفرهم للحطيم وجدوا قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر، فأشهد الناس على ذلك.

كنوز الكعبة :

تعظيماً لبيت الله سبحانه وتعالى كانت الكعبة على مر العصور والأزمان ، تأتيها الكنوز والهدايا والأموال والطيب والكساوي وغيرها ويقال أن النبي (ص) عندما فتح مكة ودخل الكعبة وجد في خزينتها سبعين ألف أوقية من

الذهب فلم يأخذها أو يتصرف فيها وكذلك فعل الخلفاء الراشدين ، وقد كان بعض خلفاء العباسيين يستدينون من الكعبة ويرجعون ما أخذوا وكان عبد الله بن عمر يكره أن يهدي عامة الناس الذهب للكعبة، ويقول أن الفقراء أولى بذلك، وأن الكعبة لا تحتاج للذهب وقد أوشك عمر بن الخطاب في خلافته على تقسيم كنوز وأموال الكعبة والتي يهديها لها الناس في سبيل الله إلا أن سادن البيت شيبه ذكره بأن النبي (ص) وأبي بكر الصديق لم يفعلا ذلك ، كما خالفه في ذلك علي بن أبي طالب وكبار الصحابة فترك التصدق بأموال الكعبة وكره العلماء صرف أموال الكعبة في غيرها .

obeikandl.com

الفصل الثاني

مكة – محمد- الكعبة في الكتب السابقة

بشارة لهاجر عن بعثة النبي :

فمن ذلك بشائر موسى عليه السلام في التوراة : فأولها في الفصل التاسع من السفر الأول لما هربت هاجر من سارة تراءى ملك وقال : يا هاجر أمة سارة ارجعي إلى سيدتك فاخضعي لها فإن الله سيكثر زرعك وذريتك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه إسماعيل لأن الله تعالى قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع مبسوطة إليه بالخضوع وهذا لم يكن في ولد إسماعيل إلا رسول الله (ص) لأنهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به قاهرين.

بشارة لإبراهيم عليه السلام :

وهى قوله في هذا السفر لإبراهيم حين دعاه في إسماعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً وأجعله لأمة عظيمة وليس في ولد إسماعيل من جعله لأمة عظيمة غير محمد (ص) .

بشارة لموسى عليه السلام :

وهى في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام : (إن الرب إلهكم قال : إني أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم أجعل كلامي على فمه فأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم

منه)ومعلوم أن أخا بني إسرائيل هم بنو إسماعيل و ليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد (ص).

بشارة أخرى من موسى عليه السلام :

في الفصل العشرين من هذا السفر (إن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم إلى الشعوب ودعا لقديسيه بالبركة).

فمجيء الله تعالى من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى و إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية الناصرة واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد (ص) وفاران هي جبال مكة في قول الجميع فإن أنكروا كان دفعاً لما في التوراة ولأنه لم يستعل الدين كاستعلانه منها فاندفع الإنكار بالعيان.

بشائر الأنبياء :

كان بين موسى وعيسى من الأنبياء الذين أوتوا الكتاب باتفاق أهل الكتابين عليهم ستة عشر نبياً ظهرت كتبهم في بني إسرائيل فبشر كثير منهم بنبوة محمد (ص) .

التوراة تتحدث عن مكة :

فمنهم شعيا بن أموص قال في الفصل الثاني والعشرين قومي فأزهري مصباحك يعني مكة فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليه فقد تجلل الأرض الظلام وغطى على الأمم الضباب والرب يشرق عليك إشراقا ويظهر كرامته عليك فتسير الأمم إلى نورك والملوك إلى ضوء طلوعك ارفعي بصرك إلى ما حولك وتأملي فإنهم يستجمعون عندك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد بعيد وتسرين وتبتهجين من أنه يميل إليك ذخائر البحر ويحج إليك عساكر الأمم حتى تغمرك الإبل المؤبلة وتضيق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك ويساق إليك كباش مدين ويأتيك أهل سبأ يحدثون بنعم الله ويمجدونه وتسير إليك أغنام قاذار يعني غنم العرب لأنه من ولد قاذار بن إسماعيل ويرتفع إلى مديحي ما يرضينني وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً وهذه الصفات كلها موجودة بمكة فكان ما دعا إليها وهو الحق ومن قام بها هو المحق وفي فصل آخر من كتابه : قال لي الرب فامض فأقم على المنظرة تخبرك بما ترى فرأى راكبين أحدهما راكب حماراً يعني عيسى والآخر راكب جملاً يعني محمداً فبينما هو كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول : هوت بابل وتكسرت آلهتها المنجورة على الأرض فهذا الذي سمعت الرب إله إسرائيل قد أنبأتكم.

التوارة تتحدث عن الحجاز :

وفي الفصل السادس عشر منه لتفرح أرض العطشى بمنتهج البراري والعلوات ولتسر وتزهو مثل الوعل فإنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ويكمل

حسن الدساكر والرياض وسترون جلال الله تعالى بها قال شعيا وسلطانه على كتفه يريد :علامة نبوته على كفته وهذه صفة محمد (ص) وبادية الحجاز.

وفي الفصل التاسع عشر منه : هتف هاتف من البدو فقال خلو الطريق للرب وسهلوا سبيل القفر فستمتلئ الأودية مياهاً وتفيض فيضاً وتنخفض الجبال والروابي انخفاضا وتصير الآكام دكاً دكاً والأرض الورعة مذللة ملساً وتظهر كرامات الرب ويراها كل أحد .

وفي الفصل العشرين منه وهو مذكور في ثلاث وخمسين ومائة من مزامير داود لترتاح البوادي وقراها ولتصير الأرض قاذار موجا وبسيح سكان الكهوف وليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب وليرفعوا تسابيحه فإن الرب يأتي كالجبار الملتضي المتكبر وهو يزجر ويقتل أعداءه وأرض قاذار هي أرض العرب لأنهم ولد قاذار والمروج ما صار حول مكة من النخل والشجر والعيون.

وفي الفصل الحادي والعشرين منه أيضاً إن الضعفاء والمساكين يستسقون ماء ولا ماء لهم فقد جفت ألسنتهم من الظمأ وأنا الرب أجيب يومئذ دعوتهم ولن أهملهم بل أفجر لهم في الجبال الأنهار وأجري بين القفار العيون وأحدث في البدو أجساما وأجري في الأرض العطشى ماء معينا وأنبت في البلاقع القفار الصنوبر والآس والزيتون وأغرس في القاع الصفصف البر ليروها جميعا ثم يتدبروا ويعلموا أن يد الله صنعت ذلك وقدوس إسرائيل ابتدعه وهذه صفات بلاد العرب فيما أحدث الله تعالى لهم فيها بإسلامهم.

من بشائر نوال بن نوتال من أنبياء بني إسرائيل : مثل الصبح المسلط على الجبال شعب عظيم عزيز لم يكن مثله قط ولا يكون بعده مثله إلى أبد الأبد أمامه نار تتأجج وخلفه لهيب وتلتهب الأرض بين يديه مثل فردوس عدن فإذا جاز فيها وعبرها تركها برية خاوية رؤيته كرؤية الجبل رجالته فر سراع مثل الفرسان أصواتهم كصوت لهب النار الذي يحرق الهشيم رجفت الأرض أمامهم وتزعزعت السماء وأظلمت الشمس وغاب نور النجوم والرب أسمع صوتا بين يدي أجناده لأن عسكره كثير جدا وعمل قوله عزيز لأن نور الرب عظيم مرهوب جدا وهذا نعت رسول الله (ص).

من بشائر عوبديا

من أنبياء بني إسرائيل وفي كتابه : قد سمعنا خبراً من قبل الرب وأرسل رسولا إلى الشعوب ثم يتقدم إليه بالحرب أيها الساكن في بحر الكهف ومحله في الموضع الأعلى لأن يوم الرب قريب من جميع الشعوب فهذا مرموز في نبوته(ص).

من بشائر ميخاء

من أنبياء بني إسرائيل جاء في كتابه : فأما الآن فسيتسلم إلى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم فيرعاهم يعني الرب و بكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم إلى من سيعظم سلطانه إلى أقطار الأرض ويكون على عهد الإسلام.

من بشائر حبقوق

من أنبياء بني إسرائيل : جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الأرض من محامده لأن شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعده وتسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الأرض وقابل الأمم وبحث عنهم فتصفصفت الجبال القديمة و اتضعت الروابي الدهرية وتزعزع سور أرض مدين ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الأثيم ودمغت رؤوس سلاطينه بعضبه و معلوم أن محمدا وأحمد ومحمودا صريح في اسمه وهما يتوجهان إلى من انطلق عليه اسم المحمد وهو بالسريانية موشيحا أي محمد ومحمود ولهذا إذا أراد السرياني أن يحمد الله تعالى قال : شريحاً لإلهنا.

من بشائر حزقيال

من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه (إن الذي يظهر من البادية فيكون فيه حتف اليهود كالكرمة أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة وتفرعت منها أغصان مشرقة على أغصان الأكابر والسادات وبسقت فلم تلبث نار فأكلتها فكذلك غرس غرس في البدو وفي الأرض المهملة المعطلة العطشى وخرج من أغصانه الفاضلة نار فأكلت ثمار تلك حتى لم يبق منها عصا قوية و لا قضيب ينهض بأمر السلطان).

من بشائر إرصفينا

من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم وجميع الملوك لأصب عليهم سخطي وتكبري هناك أجدد للأمم اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جمعيا وليعبدوه في ربقة واحدة معا و ليأتوا بالذبائح من مغارتها تكون ومعلوم أن اللغة العربية هي المختارة لأنها طبقت الأرض وانتقلت أكثر اللغات إليها حتى صار ما عداها نادرا.

من بشائر يحيى بن زكريا

من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه رجع الملك الذي ينطق على لساني وأيقظني كالرجل الذي يستيقظ من نومه و قال لي ما الذي رأيت فقلت منارة من ذهب وكفة على رأسها وأريت على الكفة سبعة سرج لكل سراج منها سبعة أفواه وفوق الكفة شجرتا زيتون إحداهما عن يمين الكفة والأخرى عن يسارها فقلت للملك الذي ينطق على لساني ما هذه يا سيدي؟ فرد الملك علي وقال لي أما تعلم ما هذه ؟ فقلت ما أعلم فقال لي هذا قول الرب في زربايال يعني محمداً وهو يدعى باسمي وأنا أستجيب له للنصح و التطهير وأصرف عن الأرض أنبياء الزور والأرواح النجسة لا بقوة ولا بعز ولكن بروحي بقول الرب القوي ويعني بشجرتي الزيتون الدين و الملك وزربايال هو محمد (ص) .

من بشائر دانيال

من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه : رأيت على سحاب السماء المسمى كهينة إنسان جاء فانتهى إلى عتيق الإمام وقدموه بين يديه فحوله الملك والسلطان والكرامة أن تعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات سلطانه دائم إلى الأبد له يتعبد كل سلطان و يمضي ألفان وثلثمائة ينقضي عقاب الذنوب يقوم ملك منيع الوجه في سلطانه عزيز القوة لا تكون عزته تلك بقوة نفسه وينجح فيما يريد و يجوز في شعب الأطهار و يهلك الأعزاء ويؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين وفي هذا دليل على أمرين أحدهما صدق الخبر لوجوده على حقه والثاني صحة نبوته لظهور الخبر في صحته.

من بشائر رؤيا بختنصر :

وهى أن بختنصر رأى في السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع منها ونسيها فأحضر من في ممالكه من الكهنة والمنجمين وكان قد ملك الأقاليم السبعة وسألهم عن الرؤيا وتأويلهم فقالوا له اذكروا لنا حتى نذكر تأويلها لك فأمر بقتلهم إن لم يذكروها وتأويلها وكان دانيال النبي قد سباه من اليهود فاستمهل في أمرهم ورغب إلى الله تعالى في اطلاعه على الرؤيا وتأويلها فأطلعه الله تعالى على ذلك فأتى بختنصر وقال : أيها الملك إنك كلفت هؤلاء ما لا يعلمه إلا الله وقد رغبت إليه فأطلعني عليه ورؤياك التي رأيتها أن قلبك جاش واختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فعرفك مبدي السرائر ما يكون إنك أيها الملك رأيت صنماً عظيماً قائماً قبالتك له منظر رائع رأسه من الذهب الأبريز وصدره

وذراعاه من فضة و فخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجليه من حديد وبعضها من خزف ورأيت حجرا انقطع من جبل عظيم بغير يد إنسان فضرب ذلك الصنم فهشمه حتى صار جبلا عظيما امتلأت منه الأرض كلها فهذه الرؤيا وأنا معبرها أما الصنم فهو الملوك فأنت الرأس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك ألين منك فأما المملكة الثالثة التي هي مثل النحاس فتسلط على الأرض كلها وأما المملكة الرابعة التي هي مثل الحديد فتكون عزيزة كما أن الحديد يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق وتغلب الكل وأما الأرجل و الأصابع التي رأيت أن منها من خزف الفخار ومنها من حديد فإن المملكة تكون مختلفة و متفرقة يكون منها أصل من جوهر الحديد وخلط من خزف الفخار فيكون بعض المملكة قويا وبعضها واهيا كسيرا لا يأتلف بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف وأما الحجر الواقع من الجبل فإن إله السماء يرسل مملكة من عنده لأنه لم تقطع الحجر يد إنسان في زمان هذه الممالك يهلكها ويبقى إلى آخر الدهر ولا يكون لأمة أخرى مملكة ولا سلطان إلا دقه كما يدق الحجر الحديد والنحاس والفضة والذهب فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك في آخر الأيام فهذا رؤياك وتأويلها فخر بختنصر على وجهه ساجدا لدانيال وقال إن إلهكم هذا هو إله الآلهة ورب الأملاك حقا وهو مبدي السرائر وجعل دانيال رأسا مؤمراً على أرض بابل ومعلوم أنه لم يرسل الله تعالى سلطانا أزال به الممالك وملأ به الأرض ودام له الأمر إلا بنبوة محمد (ص) .

من بشائر أرميا بن برخنا

من أنبياء بني إسرائيل في أيام بختنصر : لما قتل أهل الرس نبيهم قال ابن عباس أمر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزو العرب الذين لا إغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم فأمره بذلك فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل وسبى حتى انتهى إلى تهامة فأتى بمعد بن عدنان فأمر بقتله فقال له النبي لا تفعل فإن في صلب هذا نبيا يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء فخلى سبيله وحمله معه حتى أتى حصونا باليمن فهدمها وقتل أهلها وزوج معدا بأجمل امرأة منهم في زمانها وخلفه بتهامة حتى نسل بها قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله تعالى :{وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشانا بعدها قوماً آخرين }

من بشائر داود في الزبور :

سبحان الذي هيكله الصالحون يفرح إسرائيل بخالقه وبيوت صيلون من أجل أن الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منه بالكرامة يسبحون على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من الأمم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال ومعلوم أن سيوف العرب هي ذوات الشفرتين ومحمد هو المنتقم بها من الأمم وفيه [أن الله أظهر من صيقون إكليلاً محموداً]وصيقون العرب والإكليل النبوة ومحمود هو محمد (ص) .

وفي مزمور آخر منه :[أنه يجوز من بحر إلى بحر ومن لدن الأنهار إلى الأنهار إلى منقطع الأرض وأن تخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم و تلحس أعداؤه التراب تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه و ينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين وأنه يعطي من ذهب بلاد سبأ ونصلي عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم ذكره إلى الأبد] ومعلوم أنه لم يكن هذا إلا لمحمد (ص) .

وفي مزمور آخر قال داود : [اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشر] أي ابعث نبيا يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أن قوما سيدعون في المسيح ما ادعوه وهذا هو محمد (ص) .

من بشائر المسيح في الإنجيل :

قال المسيح عليه السلام للحواريين : [أنا ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي. لا يتكلم من قبل نفسه إ.لا كما يقال له و.هو يشهد علي وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس و كل شيء أعده الله لكم يخبركم به] وفي نقل يوحنا عنه : [إن البارقليط لا يجينكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب].

من هو البارقليط ؟:

وفي موضع آخر عنه إن البارقليط روح الحق الذي يرسله باسمي هو يعلمكم كل شيء إني سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء.

وفي موضع آخر عنه : إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يحيى لكم الأسرار ويقيم لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي (ص) وأنا أحمد وأنا محمود وأنا محمد.

obeikandl.com

الفصل الثالث

بناء الكعبة على مر العصور

قيل :- أول من بنى الكعبة آدم ثم شيث ، واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه وقال ابن كثير[1] : قيل إن أول من بناه آدم ، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام .

وقال [2]: وكذلك روى سماك بن حزب عن خالد بن عرعرة عن علي بن أبي طالب قال أن أول من بناه آدم ،ثم شيث ثم الخليل إبراهيم ، ثم تهدم فبنته العمالقة ، ثم تهدم فبنته جرهم ، ثم تهدم فبنته قريش قبل البعثة بخمس سنين وقيل بخمس عشرة سنة ، وقال الزهري كان رسول الله(ص) قد بلغ الحلم .

والمقصود :- أن أول من بنى الكعبة سن البشر آدم ، ثم ابنه شيث ،ثم نبى الله الخليل إبراهيم ، ثم العماليق ثم جرهم ، ولا يعرف من أسبق من الآخر ،جرهم أم العماليق ؟ ثم قصى ثم قريش ثم عبد الله بن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى ، ثم بنيت بعد ذلك مرتين ، وجملة بناءها إحدى عشر مرة ، أولاها على الإطلاق قامت بها الملائكة وقد روى السنجارى فى منائح الكريم أن على عبد القادر جمع جميع من بناها فى هذه الأبيات :-

---

1) فى البداية جزء 1 - ص 605 2) جزء 1 – ص 149- وكذا تفسير البغوي

بنى البيت خلق وبيت الاله مدى الدهر من سابق بكرم

ملائكة آدم ولـده خليل عمالقة جرهم

قصى قريش ونجل الزبير وحجاج بعدهم بعلم

وسلطاننا الملك المرتجى مراد وهو الماجد الأعظم[1]

وعليه فقد بنى البيت كما سبق إحدى عشر مرة نوردها فيما يلى :-

البناء الأول وردت عدة روايات فى بناء الكعبة لأول مرة منها :-

قال ابن عباس :- لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات ،بعث ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن خسفة في موضع البيت كأنها قبة ، فدحا الأرض من تحتها فمادت ،أى تحركت ، فجعل فيها أوتاداً بالجبال ، الخسفة واحدة الخسف تنبت في البحر نباتاً وقد جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ، ثم دحا الأرض من تحتها ، فهي سرة الأرض، ووسط الدنيا وأم القرى ، أولها الكعبة وبكة حول مكة ، وحول مكة الحرم ، وحول الحرم الدنيا .

---

1) عن كتاب مع الأوائل - أسامه عبد الرحمن ص 27 ، 28

وقيل :- إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً ،وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله ()[1]

كما قال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي

الله عنه:- إن أول خلق هذا البيت أن الله عز وجل قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون ، ثم غضب عليهم فأعرض عنهم فطافوا بعرش الله سبعاً كما يطوف الناس بالبيت الحرام ، وبقوا يسترضونه من غضبه ، يقولون لبيك اللهم لبيك ربنا معذرة إليك نستغفرك ،ونتوب إليك فرضي عنهم[2] ، وأوحى إليهم أن ابنوا لي في الأرض بيتاً يطوف به من عبادي من آمنبى وهذا هو البناء الأول وجاء فى تفسير البغوى: -

إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، وكانت ربذة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش ، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة ، له بابان من زمرد أخضر ،باب شرقي وباب غربي، فوضعه على موضع البيت وقال :- يا آدم إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي وأنزل الحجر، وكان أبيض فأسود من لمس الحيض في الجاهلية ، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيًا ،وقيض الله ملكاً يدله على البيت، فحج البيت ، وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة ، وقالوا :- بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

---

1) تفسير القرطبي جزء 2 - ص 119 2) مصدر سابق جزء 1 - ص 149

قال ابن عباس رضي الله عنهما :- حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أيام الطوفان ، فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، وبعث جبريل عليه السلام فخبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق ، فكان موضع البيت خاليًا إلى زمن إبراهيم .

البناء الثاني : بناء آدم

قال البيهقي بعد أن ساق رواته قال رسول الله (ص) بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا لي بيتاً، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء نودي من تحته حسبك يا آدم ، فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه.

ذكر الماوردي عن عطاء عن ابن عباس قال :- لما أهبط آدم من الجنة إلى الأرض قال له :- يا آدم اذهب فابن لي بيتا وطف به واذكرني عنده ،كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي فأقبل آدم يتخطى ، وطويت له الأرض ، وقبضت له المفازة فلا يقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عمرانا حتى انتهى إلى موضع البيت الحرام ، وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الأرض فأبرز عن أساس ثابت على الأرض السابعة السفلى ، وقذفت إليه الملائكة بالصخر ، فما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً ، وأنه بناه من خمسة أجبل .

وقد روي في بعض الأخبار :- أنه أهبط لآدم عليه السلام خيمة من خيام الجنة فضربت في موضع الكعبة ليسكن إليها ، ويطوف حولها ، فلم تزل باقية حتى قبض الله عز وجل آدم ، ثم رفعت وهذا من طريق وهب بن منبه .

وفي رواية : أنه أهبط معه بيت ، فكان يطوف به المؤمنون من ولده كذلك إلى زمان الغرق ، ثم رفعه الله فصار في السماء ، وهو الذي يدعى البيت المعمور روي هذا عن قتادة ذره الحليمي في كتاب منهاج الدين وقال يجوز أن يكون معنى ما قال قتادة من أنه أهبط مع آدم بيت أي أهبط معه مقدار البيت المعمور طولاً وعرضاً وسمكاً ، ثم الخيمة فيجوز أن تكون أنزلت وضربت في موضع الكعبة ، فلما أمر ببنائها بناها وكانت حول الكعبة طمأنينة لقلب آدم (عليه السلام) ما عاش ثم رفعت ، فتتفق هذه الأخبار فهذا بناء آدم عليه السلام.

قال عطاء :- زعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل :- من حراء ومن طور سينا ومن لبنان ومن الجودي ومن طور زيتا وكان ربضه من حراء قال الخليل :- والربض ها هنا الأساس المستدير بالبيت من الصخر ومنه يقال لما حول المدينة :- ربض.

البناء الثالث بناء شيث

بناها شيث بن آدم ، وقد كان شيث أول نبي بعد آدم ، وكان تولى أمر الإنتقام من قابيل بعد إفساده في الأرض ، وقتله لأخيه هابيل ولا يعرف أيضاً

متى ولا كيف بناها قال القرطبي[1] :- وروى عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه قال : أول من بنى البيت بالطين والحجارة شيث عليه السلام.

البناء الرابع :- بناء الخليل إبراهيم أبو الأنبياء

كانت هذه المرة ،من نصيب إبراهيم الخليل ،أبو الأنبياء حيث كان الطوفان فى الأرض فتهدم البيت وكانت الأنبياء تحج إليه إلى مكانه إلى أن جاء الأمر من السماء إلى إبراهيم لكى يبنيه مرة أخرى ، وإليك الروايات التى جاء فيها ذكر بناء إبراهيم للبيت :-

بداية علاقة إبراهيم بالبيت فيما ورد بالتاريخ المكتوب أنه أخذ زوجته وابنه إسماعيل وذهب بهما إلى أرض مكة وتركهما ورجع إلى فلسطين وقال كما روى عنه رب العزة سبحانه :- (إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ولقد جاء إبراهيم لزيارة وديعته مرتان قبل البناء فى المرة الأولى أمر ابنه بطلاق زوجته وفى الثانية أمره أن يمسك الزوجة الثانية والإثنتان من قبيلة جرهم وفى الثالثة جاء ولقى اسماعيل ولم يك لقيه فى المرتين السابقتين وشرع فى رفع القواعد.

قال ابن كثير فى البداية والطبرى [2] والقرطبى فى تفسير قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه ،

فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت ، وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية ، فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرالسكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطورت السكينة على موضع البيت تطوي الحجفة هذا قول علي والحسن وقال ابن عباس : بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ، ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص ، وقيل : أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت لقوله تعالى { وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت } فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت ، فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر ، فذلك قوله تعالى : {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل } .

وقال الكسائي :- القواعد جدر البيت ، وقال ابن عباس : إنما بني البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة ، وبنيا قواعده من حراء ، وهو جبل بمكة ، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال :- ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس : يا إبراهيم إن لك عندي وديعة – أشرنا إلى أن جبريل كان قد خبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس - فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه قال الطبرى فى تفسير قول الحق سبحانه (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) أن

1- فى تفسيره جزء 2 - ص 119 2- جزء 1 – ص 595

الله لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام ، وخرج معه بإسماعيل وأمه هاجر وإسماعيل طفل صغير يرضع ، وحملوا فيما حدثني على البراق ومعه جبريل يدله على موضع البيت ، ومعالم الحرم فخرج وخرج معه جبريل قال : فكان لا يمر بقرية إلا قال : أبهذه أمرت يا جبريل ؟ فيقول جبريل : امضه ! حتى قدم به مكة وهي إذ ذاك عضاه سلم ، وسفر ، وبها أناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ،فقال إبراهيم لجبريل : أههنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم فعمد بهما إلى موضع الحجر ، فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال : {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم} إلى قوله : {لعلهم يشكرون }

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحق : ويزعمون والله أعلم أن ملكاً من الملائكة أتى هاجر أم إسماعيل حين أنزلهما إبراهيم مكة قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت فأشار لها إلى البيت ، وهو ربوة حمراء مدرة ، فقال لها : هذا أول بيت وضع في الأرض ، وهو بيت الله العتيق ، واعلمي أن إبراهيم وإسماعيل هما يرفعانه للناس ومرت سنوات وكبر إسماعيل ، وأمر الله نبيه إبراهيم ببناء البيت ، فجاء إلى إسماعيل وأخبره ، وهذا ما اخبرنا به ابن عباس كما رواه الطبرى قال : جاء إبراهيم وإسماعيل يبرى نبلا قريبًا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: -

يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعينني ؟

قال : وأعينك قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا ! وأشار إلى الكعبة والكعبة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت قال : فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء وجاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ،وهما يقولان : { ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم }، حتى دور حول البيت جدرانه .

قال ابن كثير :- إن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل فقال : ما لكما ولأرضي ؟ فقال : نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة قال : فهاتا البينة على ما تدعيان فقامت خمسة أكبش فقلن : نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة فقال : قد رضيت . [1]

البناء الخامس:- بناء العماليق

وهم من ساكنى مكة ، ولكن لا يعرف أقبل جرهم كانوا أم بعدهم وأغلب الظن أنهم كانوا قبل جرهم لأن قصى بن كلاب إنتزع من جرهم أمور البيت من سقاية وحجابه وخلافه وأسلمها لأولاده وأحفاده ، وانتهت إلى عبد المطلب من قريش ، ولم تأتى سيرة العماليق بين جرهم وقصى وقريش، فأغلب الظن أنهم كانوا أسبق من جرهم .

1) تفسير ابن كثير جزء 1 – ص 236

البناء السادس:- بناء جرهم

بناء جرهم وربما كانوا بعد العماليق بنوها وتولوا أمرها وانتهى بهم الحال إلى أن أسلموها إلى قصى بن كلاب بن مرة .

البناء السابع :- بناء قصى

قصى بن كلاب بن مرة بناها ،وتولى أمرها جميعه وكان إنتزع جميع أمور البيت من جرهم .

البناء الثامن بناء قريش

جاء فى تفسير ابن كثير[1] لقوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت :- قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة :- لما بلغ رسول الله (ص) خمساً وثلاثون سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وقد كانت إمرأه جمرت الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها ، وإنما كانت رضمًا فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة ، وكان في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قريش يده ، ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ،وكان

1) مصدر سابق جزء 1 - ص 248

البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الرومان فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدي لها كل يوم تتشدق على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاهها، فكانوا يهابونها فبينا هي يوماً ،تتشدق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرًا اختطفها فذهب بها فقالت قريش :- إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنيانها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ، فتناول من الكعبة حجرًا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال :- يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

قال ابن إسحاق : والناس ينتحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال : ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ،ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم ، ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام

عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء ، فقد رضي الله ما صنعنا ، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله فهدم ، وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضاً ، قال : فحدثني بعض من يروي الحديث : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فتوقفوا عند ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ،كل قبيلة تجمع على حدة ،ثم بنوها ،حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الأسود فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك ، أربع ليال، أوخمسا ،ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلهم قال :- يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله ρ فلما رأوه قالوا :- هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال (ص):- هلم إلي

ثوبا فأتي به فأخذ الركن يعني الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده (ص) ثم بني عليه حتى فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا وكانوا أخرجوا منها الحجر وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام قصرت بهم النفقة أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم وجعلوا للكعبة بابا واحدًا من ناحية الشرق وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا [1] كما قال إبن إسحاق : وحدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابًا بالسريانية فلم يدر ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا فيه : أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لأهلها في الماء واللبن .[2]

إرتفاع الكعبة : وكانت الكعبة على عهد رسول الله (ص) ثماني عشرة ذراعاً وكانت تكسى القباطي ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

---

1) البداية والنهاية جزء 2 – ص 302 - تفسير بن كثير – تفسير البغوى – الكامل لابن الاثير

2) تفسير القرطبى- سيرة ابن هشام جزء 2 - ص13- 25- البدايةجزء 2 - ص 304

الكتاب الذي وجد في المقام:

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه : مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها.

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة :

قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي (ص) بأربعين سنة إن كان ما ذكر حقا مكتوبا فيه : من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يرزع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب[1]

حديث الحمس

قريش تبتدع الحمس :

قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش - لا أدري أقبل الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الحمس ،رأيا رأوه وأداروه فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا قد عظموا من الحل

---

1) سيرة ابن هشام جزء 2 - ص 18 - 21

مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ، ودين إبراهيم (علي السلام) ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها ،وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا :- نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ،ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. [1]

القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس

وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيد النحوى : أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك وأنشدني لعمرو بن معد يكرب -

أعباس لو كانت شيارا جيادنا بتثليث ما ناصيت بعدي الأحامسا

قال ابن هشام :- تثليث : موضع من بلادهم ، والشيار : السمان الحسان يعني بالأحامس : بني عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمي وكان أغار على بن زبيد بمنطقة تثليث .

---

1) سيرة ابن هشام جزء 2 ص 22

البناء التاسع :- بناء عبد الله بن الزبير

قال ابن جرير أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير فسمعته يقول حدثتنى أمى أسماء بنت أبى بكر أن رسول الله (ص) قال لعائشة لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد فى الكعبة من الحجر وقال :- هدم ابن الزبير الكعبة وذلك لأنه مال جدارها من رمى المنجنيق فهدم الجدار، حتى وصل إلى أساس إبراهيم وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك وجعل الحجر الأسود فى تابوت فى سرق من حرير وادخر ما كان فى الكعبة من حلى وثياب وطيب عند الخزان وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله (ص) يريد أن يبنيها عليه من الشكل فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلاعا أمثال الابل فحركوا منها تلعة أو قال صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير[1] وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

وذلك كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (ص) قال لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ،ولأدخلت فيها الحجر فان قومك قصرت بهم النفقة ولجعلت لها بابا

1- تفسير القرطبى

شرقيا وبابا غربيا يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ولألصقت بابها بالأرض فان قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله (ص) فجزاه الله خيراً .[1]

قال القرطبى : لما غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما أخبرته عائشة وزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى أساس نظر الناس أليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعاً فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل لها بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه كذا في صحيح مسلم وألفاظ الحديث تختلف وذكر سفيان عن داود بن شابور عن مجاهد قال : لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس : اهدموا قال : فأبوا أن يهدموا وخافوا ان ينزل عليهم العذاب قال مجاهد :

فخرجنا إلى منى فاقمنا بها ثلاثا ننتظر العذاب قال : وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فلما رأوا أنه لم يصبه شيء اجترؤوا على ذلك قال : فهدموا فلما بناها جعل لها بابين : بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه وزاد فيه مما يلي الحجر ستة أذرع وزاد في طولها تسعة أذرع كما قال مسلم في حديثه .

1- البداية والنهاية جزء 8 - ص 250

المهم بناها على ما أشار إليه رسول الله (ص) وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل لها بابان ملتصقان بالأرض شرقيا وغربيا يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

البناء العاشر :- بناء عبد الملك بن مروان

لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك ابن مروان يخبره بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أساس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء أما ما زاد في طوله فأقره وأما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعاده إلى بنائه في رواية .

قال عبد الملك : - ما كنت أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها قال الحارث بن عبد الله : بلى أنا سمعته منها قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت قال رسول الله (ص) :- إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع .[1]

وفي رواية أخرى : قال عبد الملك :- لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير فهذا ما جاء في بناء الكعبة من الآثار.

المقصود أنه فى سنة أربع وسبعين نقض الحجاج بنيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وأعادها على بنيانها الأول قلت – الكلام لابن كثير- الحجاج لم

ينقض بنيان الكعبة جميعه بل إنما هدم الحائط الشامى حتى أخرج الحجر من البيت ثم سده وأدخل فى جوف الكعبة ما فضل من الأحجار وبقية الحيطان الثلاثة بحالها ولهذا بقى البنيان الشرقى والغربى وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ولكن سد الغربى كله وردم أسفل الشرقى حتى جعله مرتفعاً كما كان فى الجاهلية ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوى الذى كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله (ص) كما تقدم ذلك من قوله لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر وفي رواية بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ولألصقتهما بالأرض فان

قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر فلما كان في زمن المهدي أو ابنه المنصور استشار مالكاً في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير فقال مالك رحمه الله إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها على ما هي عليه فهي إلى الآن كذلك[1]

البناء الحادي عشر :- بناء السلطان مراد العثماني

وهو البناء الأخير والحالي للكعبة، وقد تم في عهد السلطان العثماني مراد الرابع سنة 1040هـ/1630م، وذلك بعد الأمطار الغزيرة التي شهدتها مكة

1) البداية والنهاية جزء 9 - ص 2

المكرمة يوم الأربعاء 19 شعبان سنة 1039هـ/ أبريل 1630م، وتحول هذا المطر إلى سيل عظيم، دخل المسجد الحرام والكعبة، وبلغ منتصفها من الداخل وحمل جميع ما في المسجد من خزائن الكتب والقناديل والبسط وغيرها،وخرب الدور واستخرج الأثاث منها، ومات بسببه خلق كثير وسقط جدارها الشامي وجزء من الجدارين الشرقي والغربي، وسقطت درجة السطح، لذلك أمر السلطان مراد بسرعة عمارتها وبدأ العمل في عمارتها يوم الأحد 23 جمادى الآخرة سنة 1040هـ /1630م،وتم الانتهاء من البناء في غرة شهر رمضان من السنة نفسها وهو البناء الحالي الماثل أمامنا وكل ما حدث بعد ذلك كان عبارة عن ترميمات وإصلاح فقط ثم بعد ذلك تم توسعة الحرم أكثر من مرة ولكن لم يتم هدمها كاملاً كما كان يتم من قبل بل توسعة لكى يمكن أن تستوعب الزيادة فى عدد الحجاج الذين يزدادون كل عام .